غوراف وجبل القمامة

دراسة حالة عن دور التجارب المربكة في المساعدة على تغيير وجهات النظر

كلفت مؤسسة علّم لأجل الهند منتسبيها الجدد بالعمل ليوم واحد في نفس الوظيفة التي يعمل فيها أولياء أمور أحد طلابهم. تم تكليف غوراف سينغ، وهو منتسب في دفعة عام 2009، بالعمل إلى جانب عائلة تعمل في فرز القمامة. واليوم، غوراف هو المؤسس والمدير التنفيذي لبرنامج ناجح لتطوير المعلمين يسمى Education 321.

تأمل في أفكاره عن تجربته في فرز القمامة وتأثيرها على "العدسة" التي رأى من خلالها طلابه وذاته ومجتمعه، والتحديات التي سيواجهها كمعلم.

كانوا يأخذون أكوام وأكياس القمامة ويفرزونها إلى فئات مختلفة (الورق والمعادن والزجاج وغيرها) ثم يبيعونها إلى مشترين مختلفين... كانت تجربة صعبة ومربكة للغاية. في اللحظة التي تدخل فيها، تشم **رائحة كريهة للغاية، تكاد تثير الغثيان**، ثم تجد نفسك في غرفة ضخمة مكدسة حتى السقف بالقمامة. عليك فقط أن تلتقط كيسًا وتبدأ في الفرز، وليس هناك أي طريقة لمعرفة ما الذي تتعامل معه. أتذكر بشكل واضح جدا عندما وضعت يدي في الكيس دون أن أعرف ما الذي سيخرج منه - هل هو شيء جاف أم رطب. وإذا كان رطبًا، فما هو؟

عندما بدأت بالعمل، كان الأمر صادمًا ومربكًا، وبدأت أفكر **"لماذا يقوم شخص ما بهذا العمل؟"** هذا عمل صعب للغاية ومهين في بعض النواحي. فالأجر ليس جيدا، والعمل مرهق جدا، فأنت مضطر للعمل لمدة 8-10 ساعات يومياً. وبينما كنت أقوم بهذا العمل، كنت أفكر كثيرا "لماذا يقوم شخص ما بهذا العمل؟" و "لماذا لا يقومون بعمل آخر؟" و "أنا متأكد من وجود أشياء أخرى للقيام بها". كانت هذه الأفكار تدور في رأسي أثناء قيامي بالعمل.

بعد حوالي 4-5 ساعات، تغير شيء نوعًا ما. كان الجو حارًا - حرارة الصيف الهندي. عملت لساعات طويلة، وكل جزء من جسدي كان يؤلمني. لا يوجد مكان للجلوس والاستراحة، ولا توجد فترة استراحة حقيقية. حاولت مجاراة العاملين الآخرين، **وفجأة أصبح ذهني فارغا**. كل تلك الأشياء التي كنت أفكر فيها - لماذا وكيف - اختفت تماما، وأصبح كل تركيزي منصبا فقط على إنهاء فرز الكيس الذي في يدي والانتقال إلى الكيس التالي، وكيف أنتهي من فرز أكياسي بسرعة حتى انصرف من هنا. واستمر هذا الأمر للساعتين أو الثلاث أو الأربع ساعات المتبقية من مناوبتي، لم أفكر في أي شيء. انصب كل تركيزي على إنهاء فرز الأكياس وإنجاز هذا النشاط. اختفت كل الأفكار وكل شيء آخر.

لاحقًا وبعد أن نعود، نقوم بالتأمل فيما فعلناه. بعد مرور بعض الوقت، **بدأت الدروس الحقيقية لهذه التجربة تتكشف لي**. أدركت أن قدرتي على التفكير في كل هذه الأشياء - لماذا وكيف - جاءت من خلفيتي التي منحتني حرية الاختيار. سمحت لي الامتيازات والخيارات التي حظيت بها في حياتي أن أتساءل عن هذه الأشياء. ولكن بعد بضع

ساعات فقط من هذا العمل، اختفت كل هذه الأفكار والأسئلة، وكان تفكيري الوحيد هو كيف يمكنني إنهاء فرز هذا الكيس، لم يكن هناك مجال للتفكير في أي شيء آخر، أو خيارات اخرى، أو بدائل، أو طرق مختلفة للقيام بهذا العمل، لأن هذا العمل كان مرهقا جدا.

ثم أدركت أن من يقوم بهذا العمل لم يقوموا به بعد مقارنة خيارات أو بدائل مختلفة، بل لأنهم ولدوا في هذا الواقع، فالحقيقة القاسية لحياتهم حرمتهم من أي فرصة للتفكير أو الاختيار أو الاستكشاف، وكلها أمور كانت متاحة لي بشكل طبيعي بسبب خلفيتي، والخيارات التي أتيحت لي في الحياة، وبسبب أمي، وكل هذه الأشياء. ولو كانت حياتي مختلفة وولدت في المكان الذي ولد فيه هؤلاء الأشخاص، فهناك فرصة كبيرة أنني كنت سأقوم بنفس العمل الذي يقومون به، ولن تكون لدي الفرصة أو الوقت أو حتى القدرة على التفكير في بدائل أخرى. عندها بدا واضحا أن الكثير مما رأيته - الفقر والتحديات - هي نتيجة طبيعية للنظام الذي وجد الناس أنفسهم فيه، وعندما يكون هذا النظام قويا ومنتشرًا بشكل كبير سيبدو أنه لا يوجد مفر منه، وهذه هي الطبيعة المنهجية للمشكلات التي نحاول معالجتها.

فالأمر لا يتعلق بما يحدث داخل الفصل الدراسي فقط، فالواقع المجتمعي هو ما يشكل حياة أطفالنا، ويؤثر على كل شيء بدءا من تطلعاتهم وطموحاتهم الى معتقداتهم، وما يعتقدون انهم يستطيعون أو لا يستطيعون فعله، وما يجب عليهم فعله أو عدم فعله. والى أن أفهم هذه الأمور بعمق، فلن أستطيع أن أخدم طلبتي كما يجب. من هنا بدأت رحلتي في محاولة فهم الأبعاد الكبرى والمنهجية للتحديات التي نحاول معالجتها، وكيف تؤثر هذه الأبعاد على كل ما يحدث حولنا، وخصوصا في حياة طلبتنا.